في الديـــن و الحيـــاة. . . مقاربـــات نفسانيـــة (4)

العنـــف والمحبـــة والأديـــان!!

http://www.arabpsynet.com/Documents/DocSamarraiReligion&Life4.pdf

د. صـــــادق السامرائـــي
أمريكـــا – العـــراق
sadiqalsamarrai@gmail.com

وصلتني – قبل فترة ليست بالقصيرة – رسالة من أحد الأخوة القراء الأعزاء وقد سطر فيها أكثر من ثلاثين آية تدل على العنف , وكأنه يقول أنت تتحدث عن المحبة والرحمة في الدين , وهذا ردي على ما تقوله.

ولم أجب الأخ القارئ لأن الآيات كما هو معروف تخضع لتفسيراتها الزمانية وخصوصياتها , وأسباب نزولها وغيرها من الشروط التفسيرية والتأويلية, وهذا شأن لا أريد الدخول فيه لأنه بحاجة إلى مختصين متنورين.

لكن أول ما تبادر إلى ذهني وأنا أقرأ رسالة القارئ العزيز قول عيسى (ع) " من منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر" وأقصد بذلك, السؤال التالي الذي حاولت الإجابة عليه "هل أن الأديان بلا عنف؟"

حملت السؤال وتحاورت به مع ذوي المعرفة والمهتمين بتأريخ الأديان وفلسفاتها وبحثت في الكتب والمصادر عن جواب , فظهر أن العنف يكاد يكون موثقا في جميع الكتب الدينية , ومن الصعب أن يخلو كتاب واحد منها من التطرق إلى موضوعات العنف.

والعنف بإسم الرب, أيا كان ذلك الرب يكاد يتوطن العقائد الدينية قاطبة , وفي المقابل فيها دعوات للحب والرحمة والأخوة والألفة.

أي أن في الكتب والمعتقدات مفردات وعبارت يمكن أن تسوّغ العنف على أنه وسيلة للحفاظ على المعاني السامية التي تريد تحقيقها .

ولكنها جميعا وبلا إستثناء لم تصل إلى غاياتها الرحيمة , وإنما عبّرت عن العنف بأشكاله المختلفة وبدرجاته المتفاوتة عبر مراحلها , ومَن يدرس تأريخها سيرى أنه لا يخلو من العنف والصراعات البشرية القاسية, سواء كان ذلك في شرق الأرض أو غربها.

وكثيرا ما تم تسخير الموضوعات الدينية لأغراض سياسية ومنافع دنيوية تحت شعارات ومسميات عديدة , دفعت بسببها البشرية أغلى الأثمان وعانت أبشع الويلات والمصائب.

لكن أول ما تبادر إلى ذهني وأنا أقرأ رسالة القارئ العزيز قول عيسى (ع) " من منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر" وأقصد بذلك, السؤال التالي الذي حاولت الإجابة عليه "هل أن الأديان بلا عنف؟"

تحاورت به مع ذوي المعرفة والمهتمين بتأريخ الأديان وفلسفاتها وبحثت في الكتب والمصادر عن جواب , فظهر أن العنف يكاد يكون موثقا في جميع الكتب الدينية , ومن الصعب أن يخلو كتاب واحد منها من التطرق إلى موضوعات العنف.

العنف بإسم الرب, أيا كان ذلك الرب يكاد يتوطن العقائد الدينية قاطبة , وفي المقابل فيها دعوات للحب والرحمة والأخوة والألفة.

كثيرا ما تم تسخير الموضوعات الدينية لأغراض سياسية ومنافع دنيوية تحت شعارات ومسميات عديدة , دفعت بسببها البشرية أغلى الأثمان وعانت أبشع الويلات والمصائب.

برغم كل الدعوات الرحيمة

وما أكثر الحروب والصراعات التي تولدت من هذا العنف الكامن في العقائد والأديان , وفقا للرؤى والتأويلات المتنوعة والنزعات المتباينة الاتجاهات والمنطلقات.

وبرغم كل الدعوات الرحيمة الداعية إلى الخير والمحبة والرأفة, فأن البشرية تستخرج من كتبها وعقائدها المهيمنة العديد من الكلمات والعبارات والأفكار , لتوهم نفسها وتبرر بها الدمار والعنف وتمنحه معاني وصفات أخرى ذات قيمة ومرتبة علوية , فيكون العنف وأحيانا القتل عبارة عن تنبؤات وفروض وطقوس تقرب إلى الرب المعبود.

وحتى سفك الدماء قد يصبح من المقربات زلفى إليه أيضا, وكأنه هو الذي خلق البشر لكي ينشغلوا بقتل بعضهم البعض , ويعبدونه بسفك الدماء , وكأنه يحب الدم البشري المسفوح دون ذنب إلا بسبب ما يعتقده فلان ويراه علان من المخلوقات الآدمية , المتوهمة الهائمة وراء ما يمليه عليها العقل المنفعل.

وهذا القتل الممجوج يكون في مرتبة أقل من الفعل الحيواني الذي يتحقق بسبب الجوع والرغبات البقائية الساخنة , فالحيوانات تأكل بعضها ولا تقتل بعضها من أجل القتل وحسب, كما يفعل البشر ويسوغ ذلك وفقا لرؤى وتصورات يحسبها من أديانه وعقائده, وربما طقوس عباداته ووسائل تقربه إلى إلهه, أو يلصقها بها وفقا لهواه وما تسول له نفسه الأمارة بالسوء.

فقادة الأديان والعقائد يتطلعون إلى تقليل العنف والتأكيد على المحبة والسلام, لكن ذلك في أغلب الأحيان لا يرقى إلى أن يكون مجرد كلام جميل براق المعاني والتطلعات.

وبرغم كل المحاولات الدائبة لإطفاء نيران العنف العقائدي والديني, فإنه ينتشر بين البشر بسرعة مؤلمة وبقسوة غير معهودة في التأريخ بسبب توفر الوسائل الحديثة للدمار والرعب , وهو غالبا ما يرتدي جلباب الإسناد الإلهي , وبأنه واجب ديني ووسيلة لتحقيق إرادة الرب.

وسفك الدماء قد يتحول إلى نشاط دائب, فقتل البشر في عرف المغالين بالدين قد يكون فعلا يدخل القاتل في جنات ربه الفسيحة المتصورة.

والعلة التي يصعب الشفاء منها هي أن الكثير من البشر لا يمكنه أن ينظر إلا من زاوية نظر ضيقة واحدة فقط تجاه الأديان والمعتقدات الأخرى, ويضفي عليها كل السلبيات ويرميها بما يسعفه به إجتهاده وخياله من الصفات القبيحة , لكي يعمق كراهيته لها ويرعى إبتعاده عنها ويتمادى في جهلها, ويزداد بذلك عداءا لها.
وعندما يتعلق الأمر به وبدينه ومعتقداته فأنه يُلبس أقبح السلوكيات الممكنة رداء الصلاح , ويستخرج ما يساندها من كتبه وتراثه ويقوم بأفعال يندى لها الجبين , ويحسب ذلك إيجابا وسلوكا حضاريا ودينيا مطلوبا, ويمعن في التبرير والخداع للذات والآخرين, ليرضي نفسه ويؤكد أن ما قام به هو من السلوكيات الضرورية والمفيدة لما يراه ويعتقده ويؤمن به بإصرار عاطفي شديد.

وقد أمضت البشرية المأسورة بالمعتقدات على هذا المنوال مسيرتها الدامية , وما من أحد إلا ما

الداعية إلى الخير والمحبة والرأفة, فأن البشرية تستخرج من كتبها وعقائدها المهيمنة العديد من الكلمات والعبارات والأفكار , لتوهم نفسها وتبرر بها الدمار والعنف وتمنحه معاني وصفات أخرى ذات قيمة ومرتبة علوية

هذا القتل الممجوج يكون في مرتبة أقل من الفعل الحيواني الذي يتحقق بسبب الجوع والرغبات البقائية الساخنة

برغم كل المحاولات الدائبة لإطفاء نيران العنف العقائدي والديني, فإنه ينتشر بين البشر بسرعة مؤلمة وبقسوة غير معهودة في التأريخ بسبب توفر الوسائل الحديثة للدمار والرعب

سفك الدماء قد يتحول إلى نشاط دائب, فقتل البشر في عرف المغالين بالدين قد يكون فعلا يدخل القاتل في جنات ربه الفسيحة المتصورة.

العلة التي يصعب الشفاء منها هي أن الكثير من البشر لا يمكنه أن ينظر إلا من زاوية نظر ضيقة واحدة فقط تجاه الأديان والمعتقدات الأخرى, ويضفي عليها كل السلبيات ويرميها بما يسعفه به إجتهاده وخياله من الصفات القبيحة

لا زلنا لم نبتكر وسيلة طيبة للتعايش الإنساني السامي الذي يفيدنا جميعا , ويحقق السعادة ويرعى المحبة والسلام والألفة البشرية,

ندر قد إستطاع أن يخرج من هذا الصندوق المحكم الغلق , ويرى بصدق ما يدور على حقيقته ويدين فعلا بالأخوة والإنسانية والمحبة والرحمة الآدمية.

ولهذا ترى الجياع تتنامى والفقر يعصف بأركان الأرض والمعاناة تتصاعد والحروب تتكاثر , وكل يحسب أن ما يتسبب فيه من أضرار للآخرين, إنما هو النصر والسعادة والفخر له ولعقيدته. ولا زلنا نمضي على هذا الدرب المأساوي ونحن في عصر السرعة وزمن الثورات المعلوماتية , التي تحولت الأرض بسببها إلى قرية كونية صغيرة جدا كما هي فعلا.

ولا زلنا لم نبتكر وسيلة طيبة للتعايش الإنساني السامي الذي يفيدنا جميعا , ويحقق السعادة ويرعى المحبة والسلام والألفة البشرية, ويخلص الأجيال من هذه الأمراض الفكرية والإضطرابات السلوكية , التي لا تنفع إلا الشر والدمار والخراب .

وفي هذا العالم المتضائل لا بد من التفاعل الخلاق ما بين العقائد والأديان, ومن حوارات بناءة لرأب الصدع وتطهير الأدمغة من آفات العنف وسفك الدماء , وزرع بذور المحبة والتفاعل الإيجابي الطيب , الذي يجلب السعادة ويحقق إرادة السلام والتآخي.

البشرية مطالبة اليوم باليقظة من هذا النوم والتخدير الشامل , الذي سيطر عليها وأصابها بالموت الإنساني , وخلع ضميرها , وأملى عليها سلوكيات لا تدعو للفخر, بل للخجل والأسف والنكران.

البشرية عليها أن ترى بعيون الحق والخير , وتغسل أعماقها من البلاء الوخيم الذي يعصف في أرجاء الدنيا ويرتدي أكاذيب متنوعة ذات ألوان زاهية, تدعو البشر إلى القفز في أحواض الجحيم المعدة لهم في كل الأصقاع البائسة.

البشرية مطالبة بالسعي للأمل والتفاؤل ومسح الدموع ونشر الإبتسامات , وتحقيق الرفاهية للبشر الذي سئم من الحياة المحفوفة بالكراهية والأحقاد والحروب والعدوان الشرس المرير , وفقا لمسوغات وفرضيات لا تنفع إلا الموت والهلاك الأسود.

البشرية عليها البحث عن القواعد والأفكار المشتركة , التي تجمع بين الديانات والعقائد المتنوعة , وأن تصل إلى قاسم مشترك يفيد الناس ويمنع عنهم هذا الألم والعذاب , الذي يتم صناعته كل يوم ولحظة من أجل أن تزهق الأرواح وتتكاثر الأحزان , ويزداد الوجود صعوبة وعناءا وبؤسا.

البشرية عليها الطرق على أبواب الأمل التي تمنح التفاؤل والثقة والعزم ليعيش الناس بسلام ومحبة وأخوة وسعادة وأمان.
البشرية بحاجة إلى أن يتفاهم أعضاؤها ويكونوا قريبين إلى بعضهم , لكي يؤكدوا قيمهم ويعبروا عن إنسانيتهم ودورهم المفيد في الحياة, لا أن يتباعدوا ويبحثوا عمّا يفرقهم ويزيدهم جهلا وعداءا لبعضهم البعض.

هذه البشرية المشحونة بعدم الفهم للآخر والشك بالآخر وجهله , وبالكراهية والحقد والإنتقام والثأر

ويخلص الأجيال من هذه الأمراض الفكرية والإضطرابات السلوكية , التي لا تنفع إلا الشر والدمار والخراب

في هذا العالم المتضائل لا بد من التفاعل الخلاق ما بين العقائد والأديان, ومن حوارات بناءة لرأب الصدع وتطهير الأدمغة من آفات العنف وسفك الدماء , وزرع بذور المحبة والتفاعل الإيجابي الطيب

البشرية عليها أن ترى بعيون الحق والخير , وتغسل أعماقها من البلاء الوخيم الذي يعصف في أرجاء الدنيا ويرتدي أكاذيب متنوعة ذات ألوان زاهية

البشرية مطالبة بالسعي للأمل والتفاؤل ومسح الدموع ونشر الإبتسامات , وتحقيق الرفاهية للبشر الذي سئم من الحياة المحفوفة بالكراهية والأحقاد والحروب والعدوان الشرس المرير

البشرية عليها البحث عن القواعد والأفكار المشتركة , التي تجمع بين الديانات والعقائد المتنوعة , وأن تصل إلى قاسم مشترك يفيد الناس ويمنع عنهم هذا الألم والعذاب

البشرية عليها الطرق على أبواب الأمل التي تمنح التفاؤل والثقة والعزم ليعيش الناس بسلام ومحبة وأخوة وسعادة وأمان.

فهل ستخرج البشرية من صندوق الآلام وترى خالق الأكوان ببصيرة سليمة؟! وهل ستقرأ المكتوب بعيون إنسانية نقية صافية تحب الخير والسعادة للبشرية جمعاء , أم أنها ستبقى تدور في دائرة الخراب والثبور الأبدي؟!

وغيرها من مفردات الشر وسفك الدماء وزرع الآلام , وتنمية قدرات الثبور والموت في الأرض , التي تحولت إلى قرية صغيرة ولابد لها أن تحمل بشرا متحابا ومتفاهما , وإلا فأن هذه القرية الكونية ستخلو من بشرها , الذي إمتلك كل الوسائل اللازمة لإفنائه وتطهير اليابسة من شروره, فما عادت الأرض تستطيع حمل هذه الآهات, وهي تدور حول الشمس حاسبة أنها تفخر بحملها , وإذا بالذي عليها يسعى إلى الفناء وهو القادر على ذلك في زمن قياسي ما كانت تعرفه من قبل.

فهل ستخرج البشرية من صندوق الآلام وترى خالق الأكوان ببصيرة سليمة؟!

وهل ستقرأ المكتوب بعيون إنسانية نقية صافية تحب الخير والسعادة للبشرية جمعاء , أم أنها ستبقى تدور في دائرة الخراب والثبور الأبدي؟!!

إرتباطات ذات صلة

في الدين و الحياة . . مقاربات نفسانية (1)
http://www.arabpsynet.com/Documents/DocSamarraiReligion&Life.pdf
في الدين و الحياة . . مقاربات نفسانية (2)
http://www.arabpsynet.com/Documents/DocSamarraiReligion&Life2.pdf
في الدين و الحياة . . مقاربات نفسانية (3)
http://www.arabpsynet.com/Documents/DocSamarraiReligion&Life3.pdf

*** ***